الدكتور الشيخ محمد الصادقي

حوار بين أهل الجنة والنار



سرشناسه : صادقی تهرانی، محمد، ۱۳۰۵ - ۱۳۹۰.
عنوان و نام پدیدآور: حوار بین اهل الجنه والنار: بین الله و اهل النار بینهم و بین الزبانیه بینهم و بین ملایکه الموت بینهم بعضهم مع بعض بینهم ومن اضلوهم بینهم و بین اهل الجنه/ محمد الصادقی الطهرانی؛ تهیه و تدوین گروه محققین جامعه علوم القرآن.
مشخصات نشر: قم: شکرانه، ۱۳۹۵. مشخصات ظاهری: ٦٤ ص.: ١٤/٥×٢٧/٥س م.
شابک: ۲-٦-۰ ۷۳۸-۶۰۰-۹۷۸: ۳۰۰۰۰ ریال
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی. / موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ١٤
موضوع : -- Qur'an -- Shiite hermeneutics ۲۰th century
موضوع : مومنان -- جنبه‌های قرآنی
موضوع : Believers -- Qur'anic teachings
موضوع : دوزخیان -- جنبه‌های قرآنی
موضوع : Damned -- Qur'anic teaching
رده بندی کنگره: BP۱۰٤/ م۱۳۹۵۸٤ ۱۷ص
رده بندی دیویی: ۱۵۹/۲۹۷
شماره کتابشناسی ملی: ٤۲۷۱۳٦٦

انتشارات شکرانه

***

حوار بين أهل الجنّة والنّار

سماحة الشيخ الدكتور محمّد الصادقي الطهراني

***

تهیه و تدوین: گروه محققین جامعة علوم القرآن
امور هنری: واحد گرافیک جامعة علوم القرآن
چاپ: دانش
نوبت چاپ: اول، تابستان ۱۳۹۵
شمارگان: ۱۰۰۰ نسخه
قیمت: ۳۰۰۰ تومان
شابک: ۹۷۸۶۰۰۷۳۸۰۰٦۲
قم، بلوار امین، کوی ۲۱، پلاک ۷، کدپستی: ۳۷۱۳۹۳٤۸۹٤
تلفن: ۳۲۹۳٤٤۲۵ و ۳۲۹۲۵٤۹۹-۰۲۵ / نمابر: ۳۲۹۲٤۸٦۷-۰۲۵

***

www.forghan.ir
email: sadeghi@forghan.ir

***

بسم الله الرحمن الرحيم

تاریخ ۶ / ۳ / ۱۳۹۴
شماره ۱۴۹۵/ ۹۴ ت



تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

والسلام على من اتبع الهدى

جامعة علوم القرآن

الصادقي

الفهرس

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين وصلواته الزاكيات على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطاهرين

... إن أهل النار ـ مهما أنكروا الحق و كذبوه و سخروا منه و من اهله ـ مهما أنكروه في دار الدنيا ـ فسوف يعترفون بضلالهم يوم القرار و لات حين مناص.

إن زعيم الضلال ـ الأصيل ـ الشيطان الرجيم، الذي يستخدم كافة وسائل الإعلان و الإذاعات في الدنيا، و ممن يدّعون الحق كذلك ـ سوف يواجه أتباعه في إذاعة جنهمية شاملة، يسمعهم أنه لم يكن على شيء:

اذاعة إبليس:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٤: ٢٢).

فيا لها من مقالة حاسمة منه يوم القيامة ـ إذا قضي الأمر ـ عليه و على أتباعه من خيله و رَجِله.

الشيطان يعترف

الله! الله! إما أن الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة و الناس، و يغري بالكفر و العصيان... هل إنه سوف يطعن أتباعه هذه الطعنة الأليمة الناقدة النافذة الساخرة! وقد قضي الأمر، و رجعت الأمور إلى الله!.. فلا يملكون عليه رداً و لا إلى الدنيا مرداً! إنه يقول آنذاك و بعد فوات الأوان و لات حين مناص:

«إن الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فأخلفتكم»!

يقول: إنه ليس كما كنتم تزعمون يوم الدنيا، إن الحق مع القوة و الشهوة و حرية الحيونة... لا نعرف سواها و لا نعبد إلا إياها، و لا نحوم إلا حولها.. فمن هذا الذي رأى الله ليخبر عنه، و من هذا الذي رجع من القبر ليخبر عنه و من؟..

فالحق إذاً هو ملذات الحياة و أريحيتها و ما سواه باطل!.

فالآن أقول ـ كما سبق القول من رجالات الوحي، و كما كانت العقول تصدقه ـ أقول: إنّ وعد الله كان حقاً في كافة مجالاته، حقاً في تصديق الفطر و العقول، حقاً بشهادة الآيات المعجزات، حقاً بما كان يخلق من حياة سليمة سامية مطمئنة، حقاً بما كان يُطمئن النفوس، مخرجاً لها عن فوضائية الحياة و اضطراباتها، حقاً في التصور و الأمل، و في التطبيق و العمل، دون إن تظهر له ظاهرة من مظاهر الخلف و البطلان.

«و وعدتكم فأخلفتكم».. ولكن مواعيدي المسبقة كانت كلُّها تعاكس مواعيد الله تماماً، خلفاً لا في الآخرة فحسب، بل و في الدنيا أيضاً، إذ غمرتكم أغمارها، و سحرتكم مغرياتها.

كيد الشيطان:

وبعدئذٍ يُخزيهم و خزَة أخرى، إذ يعيِّرهم باستجابته، و ليس له عليهم سلطان! سوى أنهم تخلّوا و تحلّلوا عن شخصياتهم، ونسوا و تناسوا ما للشيطان عليهم من عداء قديم، فاستجابوا دعوته دون أن يأتي بحجة إلا الدعوة المغرية، المثيرة للشهوة:

«و ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي»: لا سلطاناً في ميدان النضال الجسداني، و لا سلطاناً عقلياً، و لا سلطاناً فيما تُقنع العقول من آيات و معجزات فتقبلها، و كما مصارحة رابعة يخلّي بهم، و ينفض يده منهم، رغم أنه كان يعدهم و يمينهم، و يوسوس لهم أن لا غالب لهم، فأما الساعة فما هو بملبيهم إذا صرخوا، كما أنهم لن يُنجدوه إذا صرخ، فإنهم على سواء: «ما أنا بمصرخكم و ما أنتم بمصخري» ليست بيننا صلة و لا و لاء...

ثم في جولة خامسة يبرأ من إشراكهم به، و يكفر بهذا الإشراك: «إني كفرت بما أشركتمون من قبل»... ثم يعمه و يعم أولياته: «إن الظالمين لهم عذاب أليم».. إنهم كانوا ظالمين فيستحقون العذاب الأليم، سواءٌ منهم من أضل و من ضل، فهم شركاء في الضلال العامد، مهما اختلفت مراتبه و بيناته.

فيا للشيطان! و يا لهم من وليهم الذي هتف بهم إلى الغواية فأطاعوه، و دعاهم الرسل إلى الله فكذبوهم!.

بين المضلين و أتباعهم:

وقد يخيّل إلى أتباع الضلالة أنهم معذورون إذ أوتوا من حيث لا يعلمون، و سيطرت عليهم الشيطنات من حيث يجهلون، لكنهم جميعاً محشورون إلى صراط الجحيم: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ* مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ* وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ* مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ* بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ* وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ* قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ* قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ* وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ* فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ* فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ* فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ* إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٧: ٣٤-٢٢).

الظالمون و أزواجهم:

ويُسئل هنا: هؤلاء الظالمون يحشرون إلى صراط الجحيم، فما ذنب أزواجهم إذ يحشرون معهم؟ فإن كانواهم -أيضاً- من الظالمين فليشملهم: «الذين ظلموا» و إلا فلماذا الحشر مع الذين ظلموا؟

والجواب نجده في الآيات أنفسها: «قالوا (أزواج الظالمين) إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين: (عن طريق يصدّق كأنه اليمين، كأنه طريق الدين) قالوا: بل لم تكونوا مؤمنين».

وسؤال آخر: هذا خلاف الواقع الملموس: أن تكون أزواج الظالمين أتباعهم في الظلم، فقد نجد منهم من هو مَثَلٌ للإيمان، زوجاً أو زوجة، كامرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٦: ١١).

والجواب أن الزوج لغوياً هو القرين، سواء أما كان قريناً في الحياة الجنسية و البيتية كالزوجين، أو في الحياة العقائدية: في ضلال أم في هدى أم في أصل الكيان المادي: كالإزدواجية المادية الشاملة كيان المادة أيا كان، أو.. و الأزواج في هذا الآيات هم الأزواج في الناحية العقائدية و الأعمالية كما الآيات أنفسها تشهد:

«احشروا الذين ظلموا»: قوّاد الضلالة «و أزواجهم»: من هم على شاكلتهم من الظالمين، إذ اتبعوا رؤوس الضلال»..

ولهجة جازمة فيها تهكم واضح: «فاهدوهم إلى صراط الجحيم».. إنها لهي الرد المكافي، لما كان منهم من ضلال عن الهدى، و كأنه الهدى! و إذ لم يهتدوا في الأولى إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا في الأخرى إلى صراط الجحيم، فكلما وراء الصراط المستقيم هو صراط الجحيم.

و إذ كانوا يتناصرون في ضلالهم، و كانوا موعودين بالتناصر من رؤوس الضلالة يوم الدين، فليتناصروا هنا: «ما لكم لا تناصرون» و بدلاً عن التناصر تتخاذلون و تتجادلون..

ولكنهم ليس لهم جواب، إلا أن يجاب عن واقعهم المرير: «بل هم اليوم مستسلمون».

مستسلمون لحكم الله هناك: عابدين و معبودين، تابعين و متبوعين: و إذا استسلموا جميعاً، و لم يجدوا جواباً عن سؤال، يضطروا للتساؤل فيما بينهم: «و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون» يتساءل التابعون المتبوعين: لماذا أضللتمونا على جهلنا بكيدكم؟ فنحن إذاً بريئون.

«اقلوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين» و اليمين هو الدين كما الشيطان حدّده من جغرافيته في مجالات الإضلال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٧: ١٧)

جغرافية الضلال و حدوده:

.. إنها ليست جغرافية الجوانب الحسية، إنما هي روحية، إذ يوسوس الشيطان بخيله و رَجِله من الجنة و الناس: يوسوس من نواحي عدة:

١- «من بين أيدهم»: من العالم الذي يستقبلهم: الحياة الآخرة، فيزيفها لهم كما يقدر و يجهلون أو يتجاهلون: من جاء من القبر فأخبركم عنه؟ لو كانت جنة فأنتم من أهلها، فما هي حاجة رب العالمين أن يدخلكم النار؟.. إن هناك شفعاء يشفعون لكم: «من بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة»!

٢- «و مِن خلفهم»: من الدنيا و زخارفها و مغرياتها.

٣- «و عن أيمانهم»: لمن يزعمونهم من أصحاب اليمين، من أهل الدين، و ليسوا منهم: «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين».

٤- «و عن شمائلهم»: و هي شهواتهم، يستخدم شهواتهم و يكرّسوا في نضال عقولهم المتخاذلة السمحة في تحللها عن أحكامها.[١]

«ولا تجد أكثرهم شاكرين».. لا يشكرون نعمة العقل و الفطرة السليمة، نعمة رجالات الوحي و آيات الوحي، «و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»!

كنتم تأتوننا عن اليمين:

.. إنكم كنتم تحتالون في إضلالنا جانب اليمين، ما يزعمه الجاهل حقاً من الدين، فما هو ذنبنا؟

و عندئذٍ ينبري المتهَمونع لتسفيه هذا الإتهام و إلقاء التبعة على الأتباع أنفسهم: «قالوا بلى لم تكونوا مؤمنين»: .. لم تكن وسوستنا هي التي أغوتكم بعد إيمان، و أضلتكم بعد هدىً، بل إنكم ـ مبدئياً ـ لم تكونوا مؤمنين: علمياً و عقائدياً و عملياً، فإن المؤمن الصادق في إيمانه، يفرض على نفسه الحياد تجاه الضالين، يعدّ لنفسه الطاقات المكافحة جنودَ الضلالة، فلا ضلال ـ إذاً ـ إلا عن تقصير، مهما اختلفت درجاته: «بل لم تكونوا مؤمنين»: لم تكونوا من أصحاب اليمين، بل لم يكن لم يمين، إنما كنتم من الغاوين، كما الله يصحر: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا مَن اتبعك من الغاوين» فإنما يهديكم الشيطان إلى استزادة الغواية، لا إلى أصلها.

---

١. عن باقر العلوم في تفسير الآية، من بين أيديهم معناه: أهون عليهم أمر الآخرة، و من خلفهم: آمرهم بجمع الأموال و البخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم، و عن أيمانهم: أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة و تحسين الشبهة، و عن شمائلهم: بتحبيب اللذات اليهم و تغليب الشهوات على قلوبهم (نور الثقلين، ج ٣، ص ١١).

.. فأنت تدّعي الإيمان، ثم لا تدعمه بما يحتاجه الإيمان من دعائم: «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين»!

«وما كان لنا عليكم من سلطان»: نُرغمكم به على قبول ما نراه، و نضطركم إليه رغم عدم رغبتكم فيه: «بل كنتم قوماً طاغين»: طغيان مغروس في قلوبكم، مطروس قبل أن نأتيكم، فلم نكن نحن الزراعين، و إنما حاصدين لما بذرتم، و مظهرين لما أُخفيتم.

«فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون»: استحققناه نحن و أنتم على سواء، رغم اختلاف درجات العذاب: جزاء و فاقاً.

«فأغويناكم إنا كنا غاوين»: الغواية كانت طبيعتنا، و الإغواء مهنتنا.. كرسنا جميع طاقاتنا للإغواء، و أما أنتم، أنتم! تخاذلتم و اتبعتمونا دون أن يكون لنا سلطان، و بجنبكم و معكم سلطان الله، من حكم العقول و الفِطَر، و من آيات النبوات الصادقة..

يأتونكم عن اليمين:

إن الضالين يحاولون من كافة الطرق ليضلوا الضعفاء عن الدين، يأتونهم عن الشمال و عن اليمين، عن الدنيا و عن الدين.

فقد يأتيك من طريق الصلاة قائلاً: .. و ماذا تعني من الصلوة؟ صلاتك هذه، التي لا لبَّ فيها و لا حقيقة، هذه التي لو أدّيتها أداء لشكر المخلوقين ما قبلوها منك شكراً، إلا مهانة و أهانة، إلا كذباً و زوراً، إلا دجلاً و غروراً، فهل أنت صادق في قولك: إياك نعبد و إياك نستعين؟ كلا! و أنت تعلم أنه كلا..

فهل يا ترى إن هذه الصلاة تجدر لساحة قدس الربوبية، فلئن كسبت لك وزراً أحق من أن تكون شكراً، فلتتركها، أو تصليها كما يحق لساحته الربوبية..

فقد أتاك عن اليمين و أضلك عن عمود الدين.. و هنا تجد الجواب ضمن الجواب: «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين» لم تكونوا من أهل اليمين و لا من أصحاب اليمين و الدين، لم تكونوا تعرفوا ما هو عمود الدين: الصلاة.

إن الصلاة في ألفاظها شكر، و في معانيها شكر، و في أعمالها شكر، و كلها شكر و احترام لساحة الربوبية، والرب تعالى يأمر أن يؤتى بها صحيحة كاملة الأجزاء و الشرائط في هيكلها، يأمر بهذا هكذا الأبسط مراتب الفرض، فلو تركتها فقد تركت أبسط الفرائض.. ثم المداومة على الصلاة والتدرُّج في إقامتها معنوياً كما تقام في هيكلها، هذا التدرّج يأخذ بالإنسان إلى كمال الصلاة..

إن ترك الصلاة ـ كيفما كانت ـ معناه: أنني يا ربّ أحترم كل صديق و عدو ـ و لا أحترمك أنت!.

قل لشيطانك الآتي إليك عن هذا اليمين: إن ربي ما افترض عليّ الصلاة لأعلى درجاتها، إنه يرضى مني و إنّ بهيكلها كبداية المطاف، ثم إلى نهاية المطاف.. «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر و الله يعلم ما تصنعون».

حتى يأتيك اليقين:

وقد يأتي من اليمين ـ يمين الصلاة ـ بصورة أخرى، و إلى من يزعم أنه بلغ إلى اليقين، و ليست الصلاة إلا لتحصيل اليقين، و يقرأ عليك الآية: «و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين» و قد أتاك اليقين، فلماذا هذا التعب المتواصل؟

والجواب تجده ضمن الجواب: «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين» فإن المؤمن يعرف ألا وقفة و لا نهاية لدرجات المعرفة و الإيمان، فكل مرتبة من المعرفة فوقها مرتبة و إلى.. فهل تجد أحداً وصل إلى آخر درجات المعرفة، إلى آخر المطاف في معرفة الله، التي لا نهاية لها؟

وهل أنت أعرف بالله من رسول‌الله، الذي كان يزداد صلاة و عبادة كلما ازداد معرفة، و أمر أن يدعو: «و قل رب زدني علماً»: بك و معرفة لك، و أرقى وسائل المعرفة هي الصلاة، و كانﷺ إذا همه شيء استراح إلى الصلاة.

وثم بعد كمال المعرفة، إن الصلاة شكر و احترام ما دامت النعمة، فهل يا ترى، نِعم الله تنقطع عنك ولو لآنٍ ما «و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»!

ثم الرسولﷺ و هو أول العابدين، لم يتوقف قطُّ عن الصلاة، وقد بلغ من المعرفة إلى درجة فوق التصور، فكيف لهؤلاء الزاعمين أنهم من العارفين لله لدرجة اليقين أن يتركوا الصلاة؟!

وقد يأتي عن اليمين بوسوسة ثالثة وليهدم عمود الدين ـ الصلاة ـ نهائياً: ما هي حاجة الرب تبارك و تعالى إلى صلاتك ولو كانت هي اللائقة بحضرته، فهل يخسر الله بترك الصلاة ـ أم هل يربح بصلاتك؟

تجد الجواب أيضاً ضمن الجواب: «بل لم تكونوا مؤمنين»: إن الإيمان بالله يدلنا إلى ضرورة شكره و حرمته، و التذلل له، و إن لم يفرضه، كيف وقد فرضه في مئات الآيات، و ليست الصلاة لأجل أن ينتفع به رب العباد، إنما العباد هم الذين ينتفعون بالصلاة، يُثبتون بها أنهم شاكرون لأنعم الله، و أنه ليسوا بأدنى من الكلب الذي يشكر المنعكم عليه بعظم مجرد عن اللحم، فيحرك ذنبه إذ يراه، تدليلاً على خضوعه و شكره.

.. هنا و هناك ترى أن الإضلال من ناحية اليمين لا يؤثر إلا على غير المؤمنين، إيماناً عقائدياً و علمياً و عملياً، فماذا ينفع إيمان فيه مدخل للشيطان؟ فإن الإيمان يؤمن و يطمئن الإنسان عن سائر الإضطرابات اللاإيمانية.

إن للشيطان خطواتٍ تنتهي إلى الشرك بالله، و نكران وجود الله، فقد يأتيك ـ كمن يحترم ساحة الربوبية المقدسة ـ قائلاً: هل يا ترى إن الله يأتي منه الضر و الشر، يأتي منه الدمار و البوار، يأتي منه الضلال و الغواية؟ إن المؤمن بالله لا يقبل هكذا، فليكن في الكون إله آخر هو المصدر لهذه النكبات، هوه إله الشر، كما أن الله إله الخير، فلتعبد إله الخير لكي يمنحك بالخير، و لتعبد إله الشر ليمسك عنك الشر.. و هكذا يخرجك عن التوحيد، وقد أتاك عن اليمين.

تجد الجواب هنا أيضاً ضمن الجواب: «بل لم تكونوا مؤمنين»:

إن الإيمان بالله و عرفانه كما يجب، يذود عن الإنسان هذه الوساوس:[1] إن قضية الإيمان الصحيح هو توحيد الإله في كيانه و

---

١ . راجع كتابنا «حوار بين الألهيين و الماديين» باب التوحيد.

سرمديته، في صفاته و أفعاله، و أن الخير كله بيديه و الشر ليس إليه، و إنما الشر من نتائج التخلف عن السنن الإلهية: كونية و تشريعية، و الشيطان هو أيضاً من خلق الله، و هو ابتلاء لخلق الله، كلبٌ هراش واقف على صراط الله المستقيم، يمنع الضالين، و ليس له أن يمنع عباد الله الصالحين، طالما نيته سيئة، و إنما نتاج محاولاته في صدّه عن سبيل الله، إنه نتاج صالح للمؤمنين، يتدرَّجون - على ضوء مكافحاتهم الدائبة - إلى درجات أرقى، طالما يتيه فيه التائهون.. «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين».

فالشيطان إنما يأتي من نواحي الضعف في الإيمان، و القوة في الشهوات «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً».

فليكن المؤمن على خبرة و بصيرة في إيمانه، الإيمان المكافح علمياً و عقلياً، ولكي ينهزم الشيطان في معاركه..

إنه يصور الحق بصورة الباطل، و الباطلَ بصورة الحق، و عندئذ يستحوذ الشيطان على أوليائه، و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى.. و على حد قول الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ: «إنما بدء وقوع الفتن أهواءٌ تُتّبع، و أحكام تُبتَدع، يخالف فيها كتاب الله، و يتولى عليها رجال رجالاً، فلو أن الحق خلص لم يكن للباطل حجة، ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ و من هذا ضغث، فيُمزجان فيجيئان معاً، فهنا لك استحوذ الشيطان على أوليائه و نجى الذين سبقت لهم من الله الحسن».

المستضعفون.. المقصرون و القاصرون:

.. وقد يعتذر الضالون بقصورهم: أن أضلهم المضلون و هم قاصرون، لا يدركون معنى الهداية و الضلال، فهم منجرفون بأيّ جارف!

ولكنهم أيضاً من المقصرين، ما كان لهم شعور ما عن الضلالة و الهدى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٤: ٩٧ـ١٠٠)

.. المستضعفون على طوائف عدة، مهما كان الإستضعاف روحياً معنوياً، أو ظاهرياً أعمالياً، فمنهم من يجد حيلة يفرّ بها عن ضغط الكفر و الفسق، كأن يهاجر إلى بلاد أخرى، ولكنه لا يفر، فهم الظالمون أنفسَهم.

ومنهم من لا يستطيع حيلة و لا يتهدي سبيلاً، فأولئك المظلومون القاصرون، عسى الله أن يعفو عنهم، إذا كانوا كذلك في النهاية.

ومنهم القاصرون في البداية و النهاية، سُيِّروا إلى أرض الكفر دون اختيار منهم، ثم لا حيلة لهم في الخروج، و هم أقرب إلى العفو عنهم.

ومنم القاصرون عقلياً، أو هم دون التكليف، فمعنى العفو عنهم هو العفو عن التكليف، أو لا يشملهم العفو المحتمل: «عسى الله أن يعفو عنهم» إذ هم خارجون عن التكليف، فلا سؤال حتى يستحقوا الجزاء، فيعفى عنهم!

إن النص هنا يشير إلى واقع مرير مضى في الجزيرة العربية، و إن كان لا يختص به كمالا لا تختص سائر الآيات بموارد و مناسبات نزولها.

الرسول الأقدس ﷺ هاجر مكة إلى المدينة، و أقام هناك دولة الإسلام قوية متقدمة، فمن المسلمين من هاجر مع الرسول ﷺ متحملاً و عثاء السفر و مشاق الهجرة، تاركاً أمواله و مصالحه، حيث لم يكن المشركون يدعون مسلماً يهاجر، حتى يمنعوه و يرصدوا له.

ومنهم من لم يهاجروا، حبستهم أموالهم و مصالحهم، و حبسهم خوفهم و إشفاقهم من ميثاق الهجرة: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨: ٥٧).

وجماعة، حبسهم عجزهم الحقيقي، من الشيوخ و النساء و الولدان الذين لا يستطيعون حيلة للهرب، و لا يجدون سبيلاً للهجرة.

وقد اشتد أذى المشركين لهؤلاء البقية الباقية من ضعفاء المسلمين المستضعفين، بعد عجزهم عن إدراك الرسول ﷺ و المسلمين المهاجرين، و بعد انتصارهم في معركة بدر - ذلك الإنتصار الحاسم - فأخذ المشركون يسومون المتخلفين عن الهجرة، يسومونهم سوء العذاب، و يفتنونهم عن دينهم في أشد الغيظ و العداء السافر، و فعلا فتن بعضهم عن دينهم، و اضطر بعضهم إلى إظهار الكفر و مسايرة المشركين و مشاركتهم في عبادتهم، و لقد كانت هذه التقية جائزة يوم لم تكن دولة إسلامية قائمة، بإمكانهم المهاجرة إليها، و أما الآن وقد اشتد ساعد الإسلام فكان لزاماً عليهم الهجرة، و لم يهاجروا فسَمّوا

ظالمي أنفسهم، بما أنهم حرموها الحياة في دار الإسلام، تلك الحياة الرفيعة السعيدة النظيفة الكريمة الحرة، على ضوء دولة الإسلام في المدينة المنورة.. و ألزموها الحياة في دار الفكر، تلك الحياة الذليلة الخانسة الضعيفة المضطهدة.

وتوعدهم: «جهنم و ساءت مصيراً» جهنم الدنيا و الآخرة.

وهكذا ندرس في هذه الآيات كيف يتوجب على المسلمين الحفاظ على كرامة الإيمان و أعمال الإيمان، و المهاجرة - في سبيل الحفاظ عليها - إلى أراضي الإسلام، أو أراضي يخفّ الوطؤ فيها على المسلمين، مكرسين كافة طاقاتهم في هذه السبيل:

«إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم»: لماذا ظلمتم أنفسكم و هدرتموها بالمقام مع الظالمين المستغلين المستعمرين المستحمرين؟ «قالوا فيم كنتم؟»: في أي جو و على أي تيار؟ فهل كان جديراً لكم أن تظلوا في بلاد المشركين، غارقين في اضطهاد، مسلوبي الحرية في الحياة؟

«قالوا: كنا مستضعفين في الأرض»: وي كأنما الأرض كانت محصورة منحصرة في أرض الكفر! كلا - و إنم هم زعموا أن مصالحهم محصورة فيها، و لذلك سموها: «الأرض» كأنها الأرض كلها، و لا أرض في الأرض سواها!..

«كنا مستضعفين» يستضعفنا الأقوياء، لا نملك من أمرنا شيئاً، إذ كان الحكم كافراً لا يسمح لغير الكفر ديناً و لا حكماً. «قالو ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها»؟ طالما كانت أرض اللهو و التجارة ضيقة

كأنها محصورة بأرض الشرك، و طالما أرض الذل و الخمود و الإنظلام كانت كأنها محصورة بها..

لكنما الواقع أن أرض الله واسعة، لا تختص ببلاد الكفر و إن كانت من مواطنكم و فيها مصالحكم: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» تهجاروا إلى بلاد صالحة، إلى المدينة المنورة حيث الدولة الإسلامية قائمة.. و إلى الأجواء المسلمة التى لا تضغط على المسلمين، أم ليست كالتي أنتم ساكنوها.

فلم يكن العجز و القصور - إذاً - هوى الذي يحمل هؤلاء المستضعفين على قبول الذل و الهو ان، و الفتنة عن الإيمان، إنما هو للتقصير و اللامبالاة في الحفاظ على الإيمان، إنما هو الحرص على أموالهم و أنفسهم و مصالحهم، هو الذي يمسكهم دار الكفر، و هناك دار الإسلام! و يمسكهم في الضيق، و هناك أرض الله الواسعة، و الهجرة إليها مستطاعة مهما كانت الآلام و التضحيات! «فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيراً»: مأواهم الذي رضوا بها مأوى في الدنيا، و مأواهم الأخير - نتاجاً عن الأول - في الآخرة.

يروى أن النبيﷺ بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة، فقال جندب بن ضمرة لبنيه: إحملوني فإني لست من المستضعفين، و لا أني لا أهتدي الطريق، و الله لا أبيت بمكة، فحملوه على سرسر متوجها إلى المدينة، و كان شيخاً كبيراً فمات في الطريق، فنزلت في شأنه الآية. «و من يخرج من بيته مهاجراً إلى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و كان الله غفوراً رحيماً».

هذا ـ وقد يجب أن يظل المسلم في أرض الكفر ـ لفترة أو دائماً ـ ولكي يخلق جواً إيمانياً و يكافح التيار الجارف، فالمؤمن القوي هو الذي يؤثر، و له حركة دائبة ليضم الطائشين المحتارين إلى جماعة المؤمنين، أو ـ و على أقل التقدير ـ ألا يتأثر بالتيار المضاد إذا لا يؤثر، فهو إذاً متوسط في الإيمان، و أما أن يتأثر، قاصراً أو مقصراً، فهو الضعيف الذليل، لا يملك من الإيمنا إلاّ لفظه و صورته، ريثما تفوته الصورة و يفوته اللفظ، منجرفاً بالتيار المضاد.

«إلا المستضعفين من الرجال و النساء والولدان لا يستطيعون حيلة و لا يجدون سبيلاً فأولئك عسىالله أن يعفو عنهم وكان الله غفوراً رحيماً».

هؤلاء هم الذين ستضعفون و لهم حيلة أو سبيل للتخلص، و أما من لا يجدون حيلة و لا يستطيعون سبيلاً من الشيوخ الضعاف و النساء، فهم معقلون بالرجاء على عفو الله ـ إذا لم يكن الدخول في أرض الفكر باختيارهم، أو أنهم آمنوا فيها ثم لم يجدوا عنها محيصاً، أو كان الدخول في أرض الكفر و البقاء فيها باختيارهم، ثم أصبحوا لا يجدون حيلة و لا يهتدون سبيلاً «فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم» طالما درجاتهم مختلفة في احتمال العفو، و طالما الأطفال لا تكليف لهم و لا عقاب.. فيأتي هنا سؤال يختصهم و آخر يعمهم و زملاءهم في الضعف.

سؤال أول: إذا لم يكن الولدان من المكلفين، فكيف يوعدون بالنار إذا استطاعوا حيلة و وجدوا سبيلاً؟ و كيف يعفى عنهم على احتمال، لو أنهم كانوا قاصرين لا يجدون سبيلاً؟

وسؤال ثان: هؤلاء هم المستضعفون المقصرون يعذّبون، فما بال القاصرين منهم، يؤتى في العفو عنهم بصيغة الترديد: «عسى الله أن يعفو عنهم»؟ «إلا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم و كان الله عفوّاً غفوراً».

والجواب أن القصور على نوعين: قصور عارض كالشيخوخة و أشباهها من الضعف، و هو داخل في: «لا يستطيعون حيلة»، و قصور ذاتي كالصبا و البله و الجنون، فكان و لا بد من استثنائهم بين هؤلاء، و لا يقتضي الإستثناء هنا أنهم داخلون فيمن سبقهم من المستضعفين الظالمين، و إنما استثنوا هنا كيلا يتوهم متوهم أنهم داخلون في الجمع، ولكي نتذكد شمول العذاب للمستضعفين المقصرين تماماً أو بعضاً، فالإستثناء ـ إذاً ـ بالنسبة للقاصرين تماماً، استثناء منقطع، يفيد استغراق الحكم لمن سواهم، كما يقال: خاضوا المعركة إلا رُضَّع الأطفال، و كذلك هنا: «فأولئك مأواهم جهنم..» إلا الذين لا يجدون حيلة و لا يستطيعون سبيلاً ـ من الأطفال و البله و المجانين، و من الشيوخ و النساء القاصرين أولاً و أخيراً، و منهم: القاصرون أخيراً «فأولئك» الآخرون ـ الذين لهم بعض التقصير بإقدامهم على المقام في أرض الكفر ـ و إن اضطروا اخيراً: «فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم و كان الله عفواً غفوراً».

و هذا مما يؤيده و يؤكده العقل، أن الجاهل القاصر و لا سيما من هو دون التكليف، لم يكن الله ليعذبه، ولن يكون: «و ما كنا معذبين حتى

نبعث رسولاً» و أوّله و أولاه رسول العقل و العلم اللذان لم يؤتيا للمجنون و الطفل.

حوار بين أهل النار:

﴿.. وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٤: ٣٣-٣١)

موقف آخر للمستضعفين في حوار بينهم و بين المستكبرين، يرجع بعضهم إلى بعض القول، يتبرأ كلٌ مما يتهمه الآخر، موقف حاسم، يرجع بالذل والهوان - و أكثر ما كان - إلى المستضعفين، و إن كان للمستكبرين عذاب فوق العذاب بما كانوا بستكبرون في الأرض و بما كانو يمرحون.

«ولو ترى إذ الظالمون موقوفن عند ربهم» وقوفاً دون إرادة و اختيار، عند موقف الربوبية، الرب الذي كانوا ينكرون لقاءه، وها هم أولاء موقوفون عنده «يرجع بعضهم إلى بعض القول» فماذا يرجعون من القول؟ و إلى م ترجع حالهم بعد تراجع القول؟:

«يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين».. فعليكم تبعة الوقفة المرهوبة المهينة، و ما يتوقع بعدها من البلاء، فلقد

كنا ـ ذاتياً ـ مؤمنين، و أنتم الذين حملتمونا على الكفر، فلتزروا أزارنا الآن، كما حملتمونا إياها قبل الآن.

فيأتيهم الجواب الحاسم من المستكبرين: «قال الذين استكبروا للذين استضعفو: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين»:

استفهام يستنكرون فيه أن يكونوا هم العلة الأصيلة في الصدّ عن الهدى و بعد إذ جاءكم.. فإما أنكم لم تكونوا مهتدين، و إنما متظاهرين بالهدى، أو كنتم مهتدين متربصين لدعوة الردى، فقد كنتم ـ مهما كنتم ـ مجرمين.

إن ذاتية الضلال الحاصلة بإجرامكم، هي التي استجابت إلى ضلال آخر، فكلّ إناء بما فيه يرشح.

هنا يرجع المستضعفون جولة ثانية: «قالوا بل مكر الليل و النهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله و نجعل له أنداداً».. ثم لا جواب فراراً عن التكرار و سكوتاً عن سبق الجواب عنه: «أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم».

فدعاية الضلال كلما كثرت و تواترت، إنها ليست بالتي تصد عن الهدى بعد إذ جاءت، إذ قد تبين الرشد من الغي، فلا تأويل للضلال بعد الهدى إلا إجرامية الذات و التسامح عن الحياة العقلية إلى حياة التبعية، و التخاذل و تجاه المستكبرين.

هنا ـ وفي ختام الحوار ـ إذ كلّ الكلُّ عن الحصول على نتاج، هنا يدرك هؤلاء و هؤلاء أن هذا الحوار البائس لا ينفع لا هؤلاء و لا هؤلاء، فلكلّ جريمته و إثمه، لا يعفى عنهم أنهم كانوا مستضعفين، بل: «لكلٍّ ضعف ولكن لا تعلمون».. و ضعف المستضعفين الإجرام، و لتجاهل نعمة العقل و الحرية، و استقلالية الحياة العقائدية المفروضة على كل

إنسان: أنهم رضوا لأنفسهم أن يكونوا ذبولاً فأصابهم الكمد و الحسرة، و هم و المستكبرون يرون العذاب حاضراً لا محيد عنه: «و أسروا الندامة لما رأوا العذاب و جعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا» كما جعل المستكبرون أغلال الضلال على أعناق المستضعفين، و كما قبل المستضعفون هذه الأغلال: «هل يجزون إلا ما كانوا يعملون»: فالجزاء هو العمل مهما اختلفت الصورة، ولكنما الماهية هي الماهية..

ولكنما الأغلال هذه كانت حاضرة في الدنيا مع أغلال العصيان، مستورة بستار الدنيا، غافلاً عنها المجرمون: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٥٠: ٢٢).

هذا ـ و إن ضعف العذاب للفريقين لا ينافي حمل المضلين أوزار ضلال الضالين، دون أن ينقض من أوزارهم، و كما هو الحكم القاطع عقلياً و كتابياً، و هو الجزاء الوفاق.

أغويناهم كما غوينا:

.. كاعتذار أو حوار حاسم أعذار الضعفاء: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٨: ٦٤ـ٦٢)

أغويناهم كما غوينا، و لأننا غوينا: و الغاوي لا يأتي منه إلا الإغواء، و لأن السنة جارية في التوسع لكل هاد نشيط، ولكل ضال نشيط.

ربنا إننا لم نغوهم قسراً، فما كان لنا على قلوبهم من سلطان إنما وقعوا في الغواية من رضى و اختيار، كما وقعنا نحن فيها دون إجبار، تبرأنا إليك من جريمة إغوائهم، فما كانوا إيانا يعبدون، إنما كانوا يعبدون أنفسهم الأمارة بالسوء، و هي التي سولت لهم أنفسهم أن يطيعونا، كما أن كل من يعبد من دون الله إنما يرفض عقله و يتبع هواه.

هنا نجد المغوين صادقين من ناحية و كاذبين من أخرى: فصدقهم: «أغويناهم كما غوينا» ولكنه ليس عذراً رغم أنهم يقصدون به الإعذار.. و صدق آخر: «ما كانو إيانا يعبدون» لو أرادوا أن الضعفاء إنما عبدوا أهواءهم مبدئياً، و لذلك أطاعونا، إذ وجدوا فينا أهواءهم.. و كذبهم: أنهم ما دعوهم إلى عبادتهم، و أنهم ما عبدوهم! فإنهم عبدوهم و إن كانت ناشئة عن عبادهم لأهوائهم.. و وجه آخر أن «ما» هنا موصولة و ليست نافية. و المعنى: تبر أنا إليك من عبادتهم إيانا.. و كما يكفر زعيمهم الأول: «إني كفرت بما أشركتمون من قبل».

الضعفاء:

.. إن الضعفاء المقصرين ـ و هم درجات ـ سوف يعذبون حسب ما كان يقصرون..

فالذين سامحوا عن عقولهم و تخاذلوا تجاه المستكبرين ـ آلهة الأرض ـ و انضموا إلى حزبهم، فأولئك من أصحاب النار، جهنم يصلونها و بئس القرار، بئس للظالمين بدلاً.

ويتحاجون في النار:

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ* وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ* وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ* قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ* إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ* يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٤٠: ٥٢-٤٥).

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ* لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٤٣: ٧٨-٧٧).. فأكثر المجرمين كانوا للحق كارهين - مهما كان الأقل، لا كارهين و لا محبين، و إنما متساهلين عن الحق، و لذلك ضلوا بما أضلهم الضالون.

«و إذ يتحاجون في النار».. إن المحاجة في النار هي نار فوق النار، إنها من ضعف العذاب، و إذ لا يخلو أهل النار ممن أضل أو ضلّ، ممن ساير العصاة و زاملهم، ممن دخل في جمعهم، فيوم القيامة هم يتحاجون في النار، و يا لها من عذاب في العذاب و فوق العذاب:

«فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتهم مغنون عنا نصيباً من النار».. و كما كنتم قائليها لنا و للمؤمنين: ﴿و قال لذين كفروا

للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا و لنحمل خطاياكم و ما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون* وَ لَيَحْمِلُنَّ أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم و ليُسئَلُنَّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ (٢٦: ١٣-١٢).

.. إن الضعفاء إذن فى النار مع الذين استضعفوهم، لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيولاً و إمعات، و لم يخفِّف عنهم أنهم كانوا غنماً تنساق: لا رأي لهم و لا إرادة و لا اختيار، و لم يُغنِ رعاتهم رغم ما وعدوهم: «و لنحمل خطاياكم».. «و ما هم بحاملين من خطاياهم شيء إنهم لكاذبون».

كنا لكم تبعاً:

لقد منحهم الله كرامة الإنسانية، كرامة العقل والإستقلال بحكمه، لكنهم تنازلوا عنها جميعاً، تنازلوا وانساقوا و تخاذلوا وراءَ الكبراء و الطغاة، وراء الطواغيت: آلهة الأرض: الفراعنة و النماردة، وهم في كل عصر و مصر.. لم يقولوا لهم: «لا» بل لم يكفروا أن يقولوا «لا» بل لم يروا أنفسهم أهلاً لهذا التفكير و لهكذا مقالة، و إنما حياتهم كانت حياة التبعية، متحملين تبعات هذه التبعية، إنما حياتهم: «إنا كنا لكم تبعاً».

«قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد»...

.. إنا كل ضعاف ـ هنا ـ لا نجد نضيراً و لا يغنينا من عذاب الله شيء، فقد كذبنا فيما وعدناكم، فهنا الكبراء و الضعفاء على سواء: «إن الله قد حكم بين العباد».. أخبرنا عن حكمه يوم الدنيا بخبراء الوحي، و طبق حكمه يوم الميعاد، فلا مجال لتراجعه عما حكم..

هنا ييأس الضعفاء، فينعطفون إلى خزنة جهنم، في ذلة و ضراعة - هم و الذين استكبروا - رغم العلم: أنهم في النار خالدون لا يخفف عنهم العذاب و هم فيها مبلسون:

«و قال الذين كفروا لخزنة جهنم أدعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب»: زمناً من العذاب ولو قليلاً.. «أدعوا ربكم»: إذ هو يستجيبكم بربوبيته و حنانه لكم «لا ربنا» إذ انقطعت صلة ربوبية الرحمة بينه و بيننا، حيث قطعناها بما كفرنا من قبل، أجل: و بكم - لا: ربنا - مع أنه رب العالمين أجمعين، لأن من ربوبيته لنا هنا هي جزاء الكفر بالعذاب: جزاءً وفاقاً، و من ربوبيته لكم: «فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين» فلتدعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب - إكراماً لكم، لا لنا!

ولكنما هم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢١: ٢٦ - ٢٨).. فليس لهم إلا القول: «أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى - قالوا: فادعوا - و ما دعاء الكافرين إلا في ضلال».. كما كان يوم الدنيا من ضلال و في ضلال إلى ضلال، و هنا يجدون الأثر، و يذوقون الثمر، فإن الدنيا مزرعة الآخرة.

حياة الاستقلال والاستغلال:

إن حياة المسلم حياة الإستقلال، و استغلال كل الوسائل المباحة لدحر الضلال، مهما كانت حياة جماعية تضامنية، و الإنضمامية في المجتمع إسلامياً لا تعني إلا التبعية الصالح، بحكم العقل، إتباع الجاهل للعالم و

العاقل للأحمق، و المهتدي للذي هو أهدى سبيلاً، دون أن يفقد عقله و يتجاهل عما و هبه الله من كرامات الإنسانية.. و حتى الحق لا يقبله إلا بدليل و كيف بالباطل، و كيف بتبعيته للباطل دون تفكير!

آلهة الأرض:

.. لقد أضلت آلهة الأرض الضعفاء الحمقاء، فضلوا، ثم يوم القيامة يضلُّ كل قرينه ويتناكرون فيما بينهم عبادتهم و لات حين مناص:

﴿.. حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ * قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧: ٣٧-٤١).

﴿.. وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ * وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ (٤١: ٤٨-٤٧).

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (٤٠: ٧٥-٧٢).

حوار بين الملائكة و أهل النار:

.. «قالوا: أين ما كنتم تدعون من دون الله»؟ أين آلهة الأرض و طواغيتها؟ أين فراعنتها و نماردتها؟ أين هم؟ وقد كانوا ظاهرين في الأرض متظاهرين: تصمّ الأسماع صرخاتهم، و تهيب العيون جلواتهم، كأنهم ملكوا الدنيا بأسرها لا سواهم، و كأنهم آلهة الأرض و السماء لا سواهم.. فأين! أين هؤلاء! أين هي الآن في اللحظة الحاسمة التي تسلب منكم الحياة، فلا تجدون عاصماً من الموت و لا محيداً بعد الموت من عذاب.

ثم يكون الجواب هو الجواب الوحيد، الذي لا معدى عنه ولا مغالطة فيه: «ضلوا عنا».. غابوا عنا و تاهوا، فلا نعرف لهم مقراً، و لا هم يسلكون إلينا طريقاً، فما أضيع عباداً ضائعين لا تهتدي إليهم آلهتهم و لا هم إليها يهتدون.. و في مثل هذا الأوان الضارب بأعماق الحياة و أعراقها!

«ضلوا عنا»: إذ لا يملكون شهوداً و لا شفاعة لو شهدوا، فهم ضالون عنا و إن شهدوا، رغم ما كانوا شاهدين في الدنيا و إن غابوا، و هم ضالون من خواطرنا إذ تبين لنا مكانتهم: ألا مكانة لهم.

«و شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين» فانضموا إلى شهود الله على أنفسهم بأنفسهم، فيا ويلاه أن لو كان الإنسان شاهداً على نفسه! فهل هناك ساعة أصعب عليه من هذه الساعة المزرية؟

بين الآلهة و عبادها:

ثم يأتي دور المشاهدة بين الآلهة و عبادها، وار في النار و بئس الحوار: «.. حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم»: قالت الأتباع للمتبوعين، العبدة للآلهة، قالت لها كأنها لا تخاطبها، و إنما تشتكي عليها و تلتمس لها ضعف العذاب: «ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار».. و هكذا تبدا مهزلتهم و مأساتهم، و يكشف المشهد عن واقعهم و هم متناكرون أعداء، يتهم بعضهم بعضاً، و يلعن بعضهم بعضاً: ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٤٣: ٦٧).. و يطلب له من الرب شر الجزاء، من الرب الذي كانوا عليه يفترون، و بآياته يكذبون!

هنا تستجاب دعوتهم و زيادة - على آلهتهم كما دعوا، و على أنفسهم و لم يدعوا: «قال لكلٍّ ضعف ولكن لا تعملون»: لا تعلمون أنتم الضالون أصل الضعف، و لا أنتم المضلون مقدار الضعف، فالضال يفرح زعم وحدة العذاب، و المضل يفرح زعم مماثلة العذاب: و فيه شماتة من العدو الضال للذي ضل «لكلٍّ ضعف»: للمضل بضلاله و إضلاله، و للذي ضل، بقبوله الضلالة و تقويته للضال.. «ولكن لا تعلمون»: أصلَ الضعف و مقداره: فتزعمون

وحـدة العـذاب لكـم مضـاعفته علـى المضـلين، لكنـه «لكـل ضـعف» و إن كـان ضـعف المضـل أكثـر «ولكـن لا تعلمـون» لا هـذا و لا ذاك - فضـعفهم أكثـر مـن ضـعفكم: «.. و لـيحملنّ أثقـالهم و أثقـالاً مـع أثقـالهم و ليسـألن يـوم القيامـة عمـا كـانو يفتـرون».. ولكنمـا همـا شـريكان فـي أصـل المضـاعفة، رغـم الـزعم فـي وحـدة العـذاب، فتوجـه إلـيهم شـماتة المضـلين: «و قالـت أولاهـم لأخـراهم فمـا كـان علينـا مـن فضل! فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون»..

ولقد كـذب المضـلون و أخطـأ الضـالون هنـا أو جهلـوا المعنـي مـن: «لكلّ ضعف» و كما نبه: «ولكن لا تعلمـون»: لا تعلمـون أصـل الضـعف: «الضالون» و لا مقدار الضعف: «المضلون» و هما ثابتان جـزاءً وفاقـاً، و أمـا المقـدار فللمضـلين أكثـر و أشـد لأنهـم كـانوا رؤوس الضـلالة، و الآخرين أذنابها (ومن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزر من عمل بها إلى يوم القيامة و لا ينقص أولئك من أوزارهم).

... و أصبح هذا الكذب عذاباً على التابعين فوق العذاب، ريثما يكشف النقاب فيعرفـوا أنهـم كـانوا كـاذبين، و طالمـا يكـذب الظـالمون، و عنـد الموت أيضاً: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٦: ٢٨).

وكما يكذب التابعون أيضاً، زعم أنه يثمر كما في الدنيا: «أين ما كنـتم تدعون من دون الله. قالوا ضلوا عنا بل لم نك ندعو من قبل شيئاً كذلك يضل الله الظالمين».. يتبرأ العابدون من المعبودين كمـا العكـس، ولكـن هل يا ترى أن كذبهم ينفع؟

استنكار الشركاء في حوار:

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ* وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ* الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (١٦: ٨٨-٨٦) ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا* فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (٢٥: ١٧-١٩)

أنظرونا نقتبس من نوركم!

.. هل ينتفع الضالّ باهتداء المهتدين يوم الدين؟ أم للإنسان ما تمنى دون سعي؟ أم ليس للإنسان إلا ما سعى و أن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى؟

غيرنا يزعم أن ليس النجاح في شريعة السعي و العمل، ليس في التقيّد بشريعة الناموس، إنما هو برفضها و الإيمان بالتضحية، أن فلانا ضحى و صلب أو قتل، فتحمل بهذه التضحية، الحاسمة، تحمل كافة لعنات الناموس، فلا ينفعك إلا الإيمان بالمضحي هكذا، لا ينفكك العمل بالشريعة!

غيرنا يزعم هكذا، فيأخذ حريته في الحياة ويدمي الإيمان الكافل للفلاح.

وأما نحن فنقول كما قال ربنا: «و أن ليس للإنسان إلا ما سعى» سواء في الآخرة أو الدنيا، طالما في الدنيا يغتصب البعض مساعي غيره، ولكن في الآخرة لا ظلم و لا اغتصاب، فمصير الكل دلى ما قدمته نفسه.

حوار بين المنافقين و المؤمنين:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ* فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٥٧: ١٥-١٢).

.. مشهد من مشاهد القيامة ـ عظيم ـ ترى فيه المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيدهم و بأيمانهم، نورٌ حصلوه يوم الدنيا، فينير الأجواء لهم يوم الدين.

إنهم ما كانوا يكفرون و يعملون يوم الدنيا إلا فيما بين أيدهم و لما بين أيدهم: من الآخرة، و ذلك بطاقاتهم الإيمانه، بأيمانهم الذي هو إيمانهم، فما فسحوا مجالاً للشيطان، أن يأتيهم من بين أيديهم و لا عن أيمانهم، إذ أعدوا فيها ما كانوا يستطيعون من قوة، فلم يبق مجالٌ للشيطان أن يأتيهم من خلفهم و عن شمائلهم أيضاً، إذ لم يكونوا

يفكروا فيما خلفهم: من الدنيا، إلا كونها مزرعة للآخرة، فأصبح ما خلفهم كما بين أيديهم.. و إذ لم يعطوا الحرية لشمائلهم: شهواتهم، و إنما حصروها في حصار أيمانهم: إيمانهم، فأصبحت شمائلهم أيماناً، و كأنها الأيمان، أصبحت دنياهم آخرة، و شهواتهم ديناً، فإن المؤمن دنياه آخرة، و شهواته لا تعدو ما خططه مرسوم الإيمان.

بهذه الأسلحة كافحوا الشيطان، فلم يسطع لهم ضلالاً، فظهرت يوم الدين نوراً بين أيدهم و بأيمانهم.. يسعى نورهم: الذي سعوا يوم الدنيا في تحصيله و تكميله، يعسى كما سعوا: «بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيا ذلك هو الفوز العظيم».

.. إن هذا النور ليس كنور السراج الذي يضيء ما حوله و لمن حوله، شاء صاحبه أم لم يشأ.. كلا! إنه إشعاع لطيف هادىء، إنه استجرار نور الإيمان، ظهور عقيدة الإيمان و عمل الإيمان، لا يضيء - ولا يمكن أن يضيء - إلا لصاحبه الذي حصله وسعى فيه.. فلا يتحمل الإلتماس لمن لم يسع له: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (٢٤: ٤٠).

هناك ترى المنافقين و المنافقات في حيرة و ضلال، في مهانة و إهمال، و هم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات، «انظرونا نقتبس من نوركم».. فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن هل يا ترى بإمكان المنافقين أن يقتبسوا منه، فأنى لهم أن يقتبسوا من ذلك النور؟ وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام، فسحوا المجال للشيطان أن يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم؛

فـأظلموا علـى أنفسـهم وأطفئـوا نـور العقـل والفطـرة الـذي أضـاءه الله في دواخل ذواتهم.

و إذ ذاك تسمع صوتاً مجهلاً يناديهم ـ وكأن المنادي غير المـؤمنين، إذ يترفعون عن جواب هؤلاء الضالين ـ : «قيال ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً».

ارجعوا ورائكم فالتسموا نوراً:

ويبدو أنه للتهكم و التـذكير بمـا كـان منهم فـي الـدنيا مـن نفـاق ودس و انطماس في الظلام: ارجعوا وراءكـم: إلـى الـدنيا، إلـى مـا كنـتم تعملـون، ارجعوا فالنور يُلتمس من هناك، فليس اليوم يلتمس نور.

ولكن هل يا ترى بإمكانهم الرجـوع؟ أو يسـتجاب لهـم التمـاس الرجـوع؟ كلا، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٦: ٢٨) ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٢٣: ١٠٠-٩٩)، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٣٥: ٣٧).

.. و علـى الفـور يفصـل بـين المـؤمنين و المؤمنـات و المنـافقين و المنافقات، فهناك يوم الفصل بينهم، رغم الإختلاط في الدنيا: «فضـرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب».

إنه السور الذي ضربه المنافقون ـ يوم الدنيا ـ بينهم و بين المؤمنين، و كان لهم منه باب أن ينضموا إلى المؤمنين، ولكنهم صدُّوا على أنفسـهم

الباب أيضاً: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ (٢: ٧).

فهذا السور يضرب بينهم و بينهم بما قدّمته أيديهم، جزاءً بما كانوا يعملون.

إنه سور يمنع عن الرؤية و لا يمنع الصوت، و إنه باطنه فيه الرحمة، و المؤمنون هم بباطنه، لا يرون إلا الرحمة، و لا تسمهم إلا الرحمة، طالما الظاهر منه من قبله العذاب.. و لأنهم تعلقوا بظاهر الدنيا يومها فأنتج لهم العذاب، ولكن المؤمنين لم يبصروا إليها كأنها منتهى المدمن أبصارهم، و إنما أبصروا بها، و على حد قول الإمام علي‌ﷺ في وصف الدنيا: «من أبصر بها بصرته و من أبصر إليها أعمته». ولكن المنافقين: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٣٠: ٧).

أصبحت الدنيا ـ و هي سور و جسر عليها يعبر ـ أصبحت لأهلها عذاباً، و لتاركيها إلى الآخرة رحمة: «فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب».

هنا نرى جولة ثانية في حوار من المنافقين أهل الظاهر، يتساءلون فيه مع المؤمنين: «ينادونهم ألم نكن معكم».. نعيش في صعيد واحد، وجو واحد، لقد كنا مجتمعين، فلماذا التفرقة هنا، رغم الإجتماع هناك؟

يسألونكم كأنهم يحتجون، على المؤمنين و على الله! زاعمين أن المعية الجسدانية تنفع أو تضر، و أن الآخرة مثال الدنيا في كل شيء!

كما يزعم معهم الكثيرون: أن النسب يفيد، و أن الجوار يفيد، و أن شيئاً وراء القلب السليم و العمل السليم يفيد.

رغم أن المعية إنما تفيد إذا كانت في عقيدة الإيمان و أعمال الإيمان، و إن كانت هناك تفرقة في نسب أو إقليم أو لغة أو حسب أو نسب، إنما المعيَّة الروحانى، لا الجسدانية: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم».

فهل ياترى إن المعية هنا ـ النأتج عنها ما نتج ـ إنها معية في المولد أو القرابة أو اللغة أو أشباهها من المعيات غير المعنوية؟...

كلا! و كما نرى الجواب من المؤمنين: «قالوا: بلى» كنا معكم، معكم فيما تزعمونه ينفع، و لم تكونوا معنا فيما ينفع:

«ولكنكم فتنتم أنفسكم»... إنها فتنة النفس التي فرقت بيننا و تظل مفرقة يوم الآخرة، فتنتموها فصرفتموها عن الهدى بعد إذ جاءكم..

«و تربصتم»: في الفتنة دون أن ترجعوا عنها و تختاروا الخيرة الحاسمة..

«وارتبتم»: فيما لا ريب فيه من الحق، دون سناد إلى سناد الحق.

«و غرتكم الأماني»: الأماني الباطلة في أن تنجوا و تربحوا بالذبذبة و إمساك العصا من طرفيها: نفاقاً عارماً في الدنيا و الدين.

.. «حتى جاء أمر الله و غركم بالله الغرور»..

«فاليوم لا يؤخذ منكم فدية و لا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم و بئس المصير».

أسباب البوار و الدمار:

لو كنا نسمع أو نعقل! إنما هو لاسمع من العقلاء أو التعقل يفلح الإنسان و يفلج خصامه، و يدخله الجنة التي عرفها الله، كما الترك يفلج؟

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦٧: ١١-٨).

«لو كنا نسمع أو نعقل»: نسمع من العقلاء الصالحين، أو نعقل في أنفسنا «ما كنا في أصحاب السعير»: فالذي يسمع أو يعقل لا يورد نفسه في المورد الربي، و لا يجحد ما جحد به أولئك المناكيد، و لا يسارع باتهام الرسل بالضلال على هذا النحو المتبجح الوقح، حيث لا يستند في الأفكار إلى عقل و لا دليل، و يسرف في الإنكار قائلاً: «ما نزل الله من شيء إن أنتم في ضلال كبير. فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير»: إنهم أصحاب السعير يومذاك، الملازمون له، كما كانوا من أصحابه يوم الدنيا: في سعير التكذيب، و يا لها من نكير صحبته! و يا له من مصير!.

و ماذا عليهم لو سمعوا من العقلاء ذو عقلوا!.. إن حدود الوجود للإنسان كإنسان، إنها سمعه ممن يكلّمه، و عقله في نفسه، و إذا انضم البعض بالبعض، يصبح الإنسان في حياة ازدواجية عقلية لا يضل فيها، و أما إذا حصر سمعه بالمضلات،

و عقلـه بالشـهوات، فهـو السـعير فـي نفسـه، و إنمـا سـعير النـار صـورة واقعية عن سعير النفس يوم الدنيا.

و هذا العذاب ـ عذاب السعير ـ في الجحـيم التـي تشـهق بأنفاسـها و هي تفور، إنه مروع حقاً، و لا يظلم ربك أحداً.. إن هذه النفس الشـريرة، الفارغة من كـل خيـر، مـن الميـزة الإنسـانية، مـن العقـل و النظـرة، إنهـا كالحجر الذي توقعد به الجحيم، وقد انتهت إلى نكسـة و ركسـة، مكانهـا هذه النار، جهنم يصـلونها و بـئس القـرار، إلـى غيـر نجـاة و لا فـرار.. لا فحسب:

فالنفس التي تكفر بالله تجاهلاً عامداً عما منحـه الله مـن العقـل و النظـر، إنها تظل في انتكاس و ارتكاس في كل يوم تعيشه، منكرة جهنمية نكيرة.

هذه النفـوس الشـاردة المفلتـة مـن أو اصـر الوجـود، الشـاذة الشـريرة، الجاسية الممسوخة النافزة.. إنهـا تنتهـي إلـى جهـنم المتغيظـة الحارقـة: «تكاد تميز من الغـيظ كلمـا ألقـي فيهـا فـوج سـألهم خزنتهـا ألـم بـأتكم نذير»؟:

ألم يأتكم نذير:

سؤال يوجبه إليهم للتأنيب و الترذيل، و ليس أمـر مـن الترذيـل و التأنيـب للضائق المكروب، عذاباً فوق العذاب:

«ألم يأتكم نذير»؟ من دواخل ذواتكم: فطركم و عقولكم، و مـن آيـات الله البينات: الكونية و اللفظية، و من رجـالات الـوحي حملـة الرسـالات الإلهية، المزوّدين بالمعجزات..

ويأتي الجواب في ذلة و انكسار و اعتراف بالغفلة و الحق: «قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا..».

حوار بين أصحاب اليمين و المجرمين:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ* فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ* فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ* كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ* فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ (٧٤: ٥١-٣٨).

رهانة النفوس:

على مشهد النفوس الرهينة بما كسبت. المقيدة الأسيرة بما فعلت. يعلن اطلاق أصحاب اليمين ـ أصحاب الدين الحقيقيين ـ من العقال، و يخوّلون حق سؤال المجرمين، كرامة لأصحاب اليمين، و مهانة للمجرمين:

أجل: إنهم يسألونهم سؤال صاحب الشأن المفوّض: بينما المجرمون ما كانوا يحفلونهم يوم الدنيا، و لا يبالونهم في موقف الكرامة و الاستعلاء، و لا يعتبرون لهم كياناً بجنبهم... ولكنهم الآن يجزون بما صبروا و يسألونهم كأنهم وزراء في الحكم يوم الدين، و إنهم أصحاب اليمين:

«في الجنـات يتسـاءلون. مـن المجـرمين. مـا سـلككم فـي سـقر»؟: و تـرى المجرمين لا يتمالكون من أنفسهم إلا أن يجيبوا متخاذلين، أمام المؤمنين:

لم نك من المصلين:

«قالوا لم نك من المصلين».. فهل يا ترى إن الصلاة تـدخل تاركيهـا و تصليهم الجحيم؟ و هـل إنهـا أول مـا تـدخل فـي الجحـيم؟ : قـد يكـون الجواب: أن الصلاة هنا كناية عن الإيمـان كلـه، إشـارة مـا أُعمقهـا، إلـى أهمية الصلاة في كيان هذه العقيدة، و أنها و من الإيمـان و دليلـه، يـدل إنكارها على الكفر، و تخطو بتاركها إلى الكفر.

ولكنها لو كانت رمزاً و لم تكن أصلاً، لكان في عدم الإيمان كفاية فـي دخول الجحيم، دون حاجة إلى الثلاثة الباقية، إذاً فترك الصلاة عقيـدياً و عملياً. إنه من الأسباب الرئيسية لدخول الجحيم.

فهل يا ترى: هذا التـارك لعبـادة الله، لتعظـيم الله: لصـلاة الله، وهـو لا يترك عبادة الجسد، عبادة اللهو، عبادة البنات، و هو يحترم كلّ صديق و عدوّ، فماذا يكون مصيره لو سئل:

احترمت عبادي و أهنتنى، شـكرتهم و كفرتنـي، أنكـر انـا لربـوبيتي، أم تأليها لخلقي و ترجيحاً لهم عليّ؟

فماذا يكون الجواب إذا، من هذه الذات الجهنمية؟!

إن ترك الصلاة ترك لأبسـط مـا علـى العبـد مـن العبـادة، إذ لا تحمـل الإنسان مالاً و لا وقتاً زائداً و لا يعرضـه لأخطـار.. فكيـف حالـه لـو أمـر بالجهاد و الزكاة؟

«لم نك من المصلين»: هذا تقصيرنا تجاه الخالق... ثم تقصيرنا تجاه المخلوقين: «و لم نك نطعم المسكين»: الإنسان الذي أسكنه العدم عن الحراك في الحياة، ما كنا نحسب له في أموالنا حساباً.

ثم لم نكن نكتفي بترك العلاقة الفردية الإيمانية، و العلاقة الجماعية، فقد «كنا نخوض من الخائضين».. و إنها تصف حال الاستهتار بالعقيدة، و أخذها مأخذ الهزل و اللعب و الخوض بلا مبالاة.

إنها حالة المسايرة مع الذين يخوضون في آيات‌الله، نكراناً وتكذيباً لها ولعباً بها.

ثم أخيراً «و كنا نكذب بيوم الدين»: تكذيباً عقيدياً و عملياً، و إنه أسّ البلايا، فالذي يكذِّب بيوم الدين تختل في يده جميع الموازين، و تضطرب في تقديره جميع القيم، تصبح حياته حياة اللامبالاة، في كافة مجالات الحياة، إذ لا يعتقد من أعماله سوالاً، و لا فيها وزراً و لا وبالاً، فلماذا يترك ما تهواه نفسه؟.

«حتى أتاه اليقين»: و هكذا استمرت حياتنا الشاذة الشاردة تجاه الخلق و الخالق، تجاه العقيدة و العمل، دون أن نتوب، أو نفكر في أن نتوب.

هؤلاء!. و أما الذي يترك الصلاة لفترة، جهلاً و غفلة، ثم يتوب و يواصل في الصلاة فهو ممن يعفى عنه.[1]

تخاصم أهل النار:

ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار؟

---

١ . راجع به بحث التوبة و الغفران في كتابنا «عقائدنا».

﴿هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـاغِينَ لَشَـرَّ مَـآبٍ* جَهَـنَّمَ يَصْـلَوْنَهَا فَبِـئْسَ الْمِهَـادُ* هَـٰذَا فَلْيَـذُوقُوهُ حَمِـيمٌ وَغَسَّاقٌ* وَآخَـرُ مِـن شَـكْلِهِ أَزْوَاجٌ* هَـٰذَا فَـوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُـمْ لَـا مَرْحَبًـا بِهِـمْ إِنَّهُـمْ صَـالُوا النَّـارِ* قَـالُوا بَـلْ أَنـتُمْ لَـا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَـا فَبِئْسَ الْقَرَارُ* قَـالُوا رَبَّنَـا مَن قَـدَّمَ لَنَـا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِـي النَّـارِ* وَقَـالُوا مَـا لَنَـا لَـا نَـرَىٰ رِجَالًـا كُنَّـا نَعُـدُّهُم مِّنَ الْأَشْـرَارِ* أَتَّخَـذْنَاهُمْ سِـخْرِيًّا أَمْ زَاغَـتْ عَـنْهُمُ الْأَبْصَـارُ* إِنَّ ذَٰلِـكَ لَحَـقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (٣٨: ٦٥-٥٥).

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَـا سَائِقٌ وَشَـهِيدٌ* لَّقَـدْ كُنـتَ فِـي غَفْلَـةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ* وَقَالَ قَرِينُهُ هَـٰذَا مَا لَـدَيَّ عَتِيدٌ* أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ* مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَـدٍ مُّرِيـبٍ* الَّـذِي جَعَـلَ مَـعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ* قَالَ قَرِينُـهُ رَبَّنَـا مَـا أَطْغَيْتُـهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ* قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَـيْكُم بِالْوَعِـيدِ* مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٥٠: ٢٩-٢١).

«كنا نعدهم من الأشرار»:

ها هم أولاء يقتحمون النار فوجاً بعد فوج، و يفتشون عمن في النار، فيفتقدون المؤمنين الأبرار، الذين كانوا يتعالون عليهم يوم الدنيا و يظنون بهم شراً، فها هم أُولاء يفتقدونهم فلا يرونهم معهم مقتحمين في النار: «و قالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار»؟

تقوله السلطات الباطلة للثائرين الأحرار، إذ كانوا يعدونهم من الأشرار.

ويقوله الأغنياء الأغبياء المحتكرون الأقوات، الممسكون عما يتوجب عليهم من الإنفاق، يقولونه للفقراء الأحرار الذين كانوا يطالبونهم بما فرض الله لهم عليهم.

وتقوله الفراعنة و النماردة، و المستعمرون المستحمرون، للمتخلفين عن سلطاتهم الشريرة، الثائرين عليهم..

يتساءلون: أين هم؟ أين ذهبوا؟

لأتخذناهم سخرياً»: فهل كنا نسخر منهم دون حق إذ كنا نعدهم من الأشرار؟ أم إنهم هنا ولكنهم: «زاغت عنهم الأبصار».. و كما كانت تزيغ عنهم أبصارنا يوم الدنيا، لا نحسبهم شيئاً، كذلك هنا في دار القرار، لقد زاغت عنهم الأبصار.

.. إنهم لم يتنازلوا عما كانوا يوم الدنيا، إلا إلى الشك في أمر الأخيار، هل إنهم كما كانوا نعدشهم، ولكنهم زاغت عنهم الأبصار، أم اتخذناهم سخرياً، إلا أن رؤية العذاب قدمت لهم احتمال الصدق: «اتخذناهم سخريا» و أخرت لهم كذبهم: «أم زاغت عنهم الأبصار».

و قد يحتمل أنه ليس هذا شكاً منهم كلهم، و إنما عرض لتخاصم أهل النار فيمن عدوّهم من الأشرار، و: «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» و إذا لم يكن هذه القضية المرددة اختلافاً و تخاصماً بين أهل النار، لم يبق مجال هنا للقول: «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» فما هو «هذا» و إلى مَ تشير «ذلك» إذن، هل إلى التخاصم غير المذكور هنا؟ و إذا كان إشارة إلى التخاصم

الموجود، فما هو إلا قولهم: «ما لنا لا نرى.. اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار».

هذا فليكن الفريق الأوّل أخف كفراً و غباوة إذ اعترفوا دون مهل، في حين لم يتنارل الفريق الثاني عن عميهم و استكبارهم: «أم زاغت عنهم الأبصار» ولكن النار سوف تفهمهم و بئس القرار.

.. هذه هي حالة الرعونة من المترفين الذين غمرتهم الدنيا بأغمارها، فلا يقفون لحدّ في غور الباطل و تكذيب الحق، لحدٍّ يحسبون الأبرار أشراراً، و الأشرار أبراراً.

فإذا رأوا من يسايرهم فى لهو هم و فيما هم إليه سائرون، قالوا عنهم أنهم من الأخيار.

و إذا رأوا تقوىً و تقيّداً بقيود الشريعة الإلهية، قالوا: إنهم هم الأشرار، نظرة بعين الحيوان، رفضاً لنظرة الإنسان.

و هم في غفلتهم و غفوتهم حتى يوم تظهر الحقائق، يوم يرون النار؟

هل من خروج؟

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ❊ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٢٣: ٩٩ـ١٠٠).

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ❊ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ❊ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ❊ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ❊ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ❊ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ

ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ۞ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٣: ١١١-١٠٥).

﴿.. يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (٧: ٥٣).

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٣٥: ٣٧).

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ۞ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ۞ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (١٤: ٤٦-٤٤).

«حتى إذا جاء أحدهم الموت».. و إنه مشهد الإحتضار، و إعلان التوبة عند مواجهة الموت: «قال رب ارجون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت»: يطلب الرجعة إلى ما كان فيه، ليعمل صالحاً فيما ترك من الحياة، و من أعمال الحياة المفروضة عليه.. وي كأنّ المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان.. فيأتيه الجواب، الذي هو كعذاب فوق العذاب: «كلا انها كلمة هو قائلها..»!

كلمة لا تعدو عالم اللفظ و القول، إنها تقول كالقول، لا مدلول ورائها، ولا تستحق العناية بها، فإنها كلمة الموقف الرهيب، لا كلمة المخلص

المنيب، كلمة تقال من كل قائل في هذه الحال، فى لحظة الضيق و اختناق المجال، ليس لها في القلب و لا في الواقع رصيد.

كلمة بها ينتهي مشهد الإحضترا، و يدخل قائلها من وراتها إلى برزخ إلى يوم يبعثون، حين تنقطع الصلات، و تنغلق الأبواب، و تسدل الأستار: «و من روائهم برزخ إلى يوم يبعثون».

.. و من ثم يسمعون كلمة الحق و التبكيت تقال: «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون».

فيرجعون الجواب كالمعتذر القاصر: «قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين. ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون»...

يكررون سؤال الرجعة مرة ثانية إذ دخلوا النار، و ليس الجواب إلا كما يجاب الكلب العقور: «قال اخسئوا فيها و لا تكلّمون».. فقد اعترفوا بما تتجلى فيه المرارة و الشقوة، و طلبوا العودة إلى دنيا التكليف دون عودة إلى أعمالها الفاسقة، و سمعوا الجواب، الذي هو عذاب فوق العذاب «اخسأوا..»: «اخرسوا خرس الكلاب «و لا تكلمون»: بغير الصواب.. «إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا و ارحمنا و أنت أرحم الراحمين. فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري و كنتم منهم تضحكون»:

«و هم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل».. هنا يرجع الجواب بحجة بالغة دامغة، إضافة إلى تكذيبهم فيما يدعون: «أولم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير»:

إن جرس اللفظ هنا يخبرنا بالمعنى قبل أن نسبر غوره، إنه يلقي في الحس ما يلقيه في الروع، إنه يدمغ الملتمس الخائن الظالم: عمرناكم ما يتذكر فيه من تذكر، فلم تنتفعوا بهذه الفسحة من العمر، و هي كانت كافية لمن أراد أن يتذكر: «و جاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير».

كانوا من الذين آمنوا يضحكون!

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۞ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۞ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

(٨٣: ٢٩-٣٦).

إنها جزاء وفاق بكلّ ما له من معنى.. فلقد كان المجرمون لا يكتفون بإجرامهم.. إنه كانوا من الذين آمنوا يضحكون، استهزاء بهم، لفقرهم ورثاثة حالهم، لضعفهم عن ردى الأذى، و لترفُّع هؤلاء عن سفاهة أولئك السفهاء، لزعمهم أنهم ليسوا على شيء، فكل هذا كان مما يثير الضحك، فقد اتخذوا المؤمنين مادة لسخريتهم أو فكاهتهم المرذولة...

«و إذا مروا بهم يتغامزون»: هؤلاء الأوغاد يتغامزون على المؤمنين سافرني، و ليست إلا حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب و التجرد من التهذيب، بقصد إيقاع الإنكسار في قلوب المؤمنين، و إصابتهم بالخجل و الربكة.

«و إذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين»: فكهين متفكهين، راضين عن أنفسهم، مستمتعين بهذا الشر، و ممتّعين بنقله لأهلهم».

«و إذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون»: إنه تجاوزٌ عن جميع الحدود، دون أن يقف لحد، أو يستحي من قول، أو يتلوَّم من فعل، و إلى حد اتهام المؤمنين أنهم ضالون: ضلوا سبيل الحياة فظلوا يعبدون من لا يرون، و يتبعون أنفسهم لما يوعدون، تاركين للنقد الواقع بالنسيئة الموعودة.

إنهم يحرمون أنفسهم متع الحياة، علهم يجدونها مضاعفات وراء الحياة.. إن هؤلاء لضالون.

ولكنهم لماذا يقولون هكذا؟ فهل لهم ولاية على المؤمنين؟ فهل أرسلوا عليهم حافظين، يحفظونهم عن الضلال؟ : «و ما أرسلوا عليهم حافظين»؟

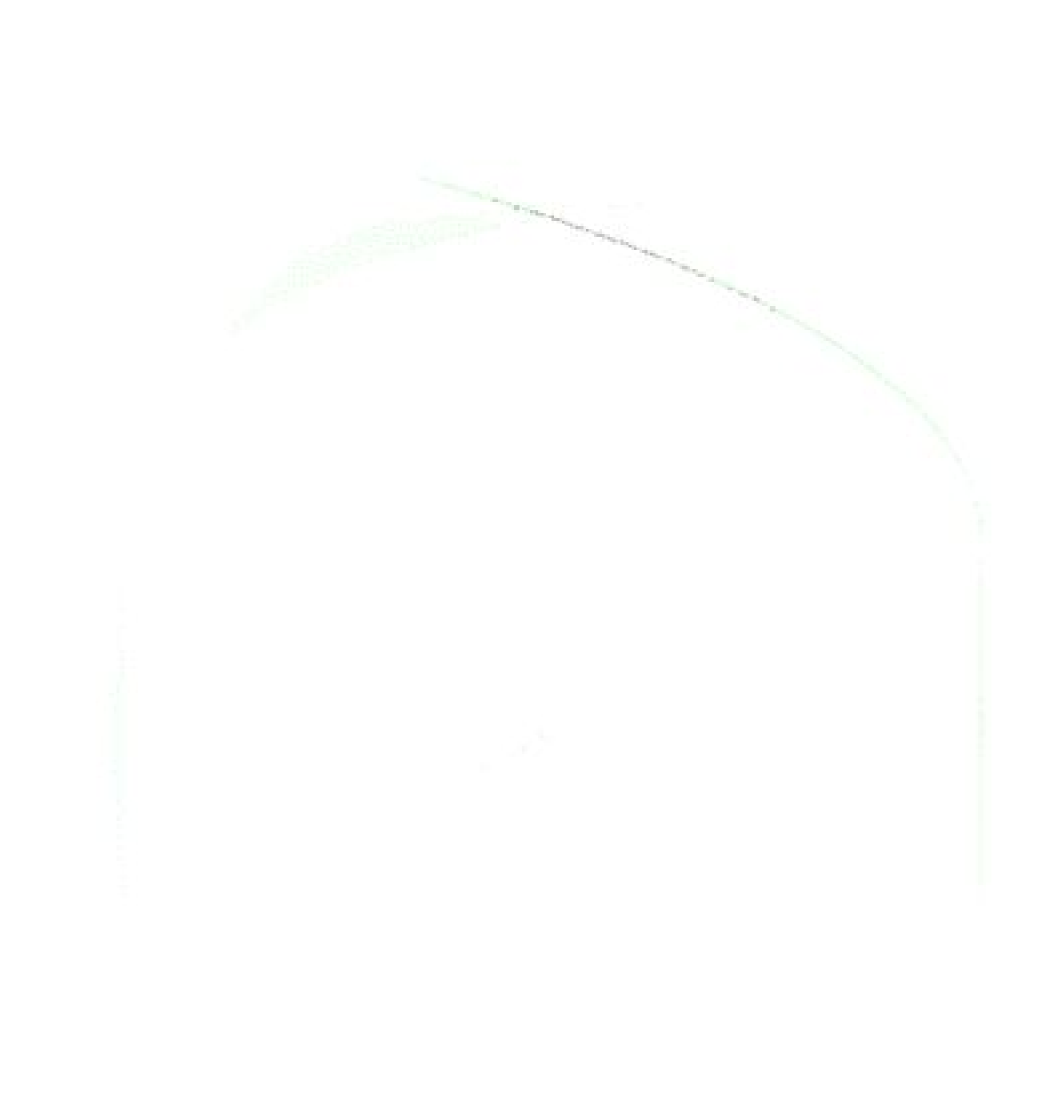
هذا ما كان من المجرمين تجاه المؤمنين، ولكن الأمر سوف ينعكس: «فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الأرائك ينظرون. هل ثوب الكفار ما كانوا يعملون»؟:

هل ثوبوا بما حاولوا في ارتداع المؤمنين عن أعمال الإيمان و عن عقيدة الإيمان، هل ثوبوا زعم أنهم أسلوا عليهم حافظين، أجل إنهم أرسلوا من إبليس اللعين، فليثبهم الشيطان بما كان منهم، ولكنهم فى العذاب يومئذ مشتركون.

محمّد الصّادقي الطّهراني

قم المقدسة

***



نبذة عن حياة
آيةالله العظمى، العلامة، الإمام الصادقى الطهرانى□ وسيرته:

ولد آيةالله العلامة محمد الصادقي (١٣٠٥هـ. ش/١٣٤٤هـ.ق/١٩٢٦م) بمدينة طهران وترعرع في أسرة علمائية. والده، الحاج الشيخ رضا لسان‌المحققين، من كبار خطباء إيران وهو في صدر المجاهدين ضد الحكومة البهلوية. أمضى محمد الصادقي فترة طفولته وصباه تحت رعاية والده العالم المؤمن، وهو أول معلم أخذ يهتم تربيته وتعليمه، فسجل اسمه - وهو ولد الخمسة - في مدرسة «الإسلام» وانبرى يعرفه تعليمات إسلامية من أوان طفولته. بعد التخرج من المدرسة الثانوية وعمره آنذاك أربع عشرة سنة، فقد اشتد فكرة تعلم العلوم الإسلامية فيه، فورد مدرسة «سپهسالار» العلمية، منهمكا في دروس المقدمات، وبخاصة الأدب العربي. ثم التحق بمحاضرات عرفانية وأخلاقية للعارف الكبير، آيةالله الشاه‌آبادي‌ﷺ كان السيد الشاه آبادي يلقي دراساته في جميع الفروع العلمية - أخلاقا كان أم فلسفة أو عرفانا - بالتركيز على القرآن، وبالتالي فقد أثر هذا المنهج الدراسي تأثيرا بالغا في روحه؛ فجعل القرآن وأبحاثه العميقة مصدرا أساسا مرجعيا في جميع الحقول العلمية وفي جميع أبعاد حياته. ثم توجه الصادقي إلى قم المقدسة، تزامنا مع الحرب العالمية الثانية وهرب الشاه رضا البهلوي. ثم اضطره الابتعاد عن الاستفاضة من ذلك البحر الضخم الروحاني - السيد الشاه آبادي - أن يلقي رجلا يشابهه ويقاربه. فبالنتيجة شارك محاضرات السيد الخميني. بيد أنه كان في بداية شبابه، يدرك أبحاث ذلك الفيلسوف العارف بسهولة، حتى لقبه السيد الخميني بـ«شاه آبادي الصغير».

ثم تلألق في أبحاث المرجع الكبير آيةالله العظمى البروجردي في الفقه و متعلقاته وأخذ يدلي بآرائه الفقهية، ولكن بما كان تركيز أفكاره ودراساته بآي القرآن العظيم من قبل، فكان له نظريات مختلفة عن الباقين؛ إذ كان يعرض جميع الآراء والنظريات على كتاب الله، بعد أنه كان يرى الكتاب بجميع آيه الكريمة ذا اتحاد واتصال، ولم يجعل القرآن عضين بأن يختص الفقه بآيات خاصة قلائل.

وكان يهتم بالجهاد ومكافحة الحكومات الفاسدة والنهي عن المنكر بكل بسالة وإخلاص، بما يستحيل أن نحكيه في سطر واحد، فقد قضى سنوات طويلة من عمره في المنفي من قبل حكومة الشاه والصدام والسعودية.

وله آثار كثيرة قيمة في الفروع والعلوم المختلفة، وأفضلها وأكثرها قيمة وبقاء تفسير «الفرقان» الكبير وهو بالغ ثلاثين مجلدا.

ثم وافته المنية في ١٥ ربيع‌الثاني من ١٤٣٢ هـ. ق، عن عمر ناهز عن ٨٥ عاما، والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا.

من مؤلفات سماحة الشيخ آيةاللّه العظمى الصادقي الطهراني رحمه الله باللغة العربية

❁ «الفرقـان» فی تفسير القرآن بالقرآن والسّنّة ـ «٣٠ مجــلداً».
❁ التفسير الموضوعي الفرقان للقرآن الكريم ـ «٣٠ مجلّداً»:
(جلد ١ و ٢):اللّه، بين الكتاب والسّنّة وسائر الكتب السّماوية
(جلد ٣):	القــرآن وسائر كتابات الـوحي
(جلد ٤ و ٥):	محمّد رسول‌الله صلی الله علیه وآله
(جلد ٦ و ٧):	البرزخ والمعاد
(جلد ٨ و ٩):	الأخلاق والأدعيه
(جلد ١٠):	العرفان
(جلد ١١):	اولياء الامور بعد الرسول الاعظم صلی الله علیه وآله
(جلد ١٢):	خلفاء الرسول صلی الله علیه وآله
(جلد ١٣):	آدم ونوح علیهما السلام
(جلد ١٤):	ابراهيم وأوصياؤه علیهم السلام
(جلد ١٥ و١٦): موسى علیه السلام ورسل معه وبعده علیهم السلام
(جلد ١٧):	عيسى علیه السلام
(جلد ١٨):	الانســان والدّنيـا
(جلد ١٩):	الحياة بين الشياطين من الجنّة والناس
(جلد ٢٠):	السياسة الاسلامية
(جلد ٢١):	العلوم التجريبية
(جلد ٢٢):	اصول‌الإستنباط
(جلد ٢٣):	الفقه المقارن: ج ١ ـ احكام وضوابط عامة
(جلد ٢٤):	الفقه المقارن: ج ٢ ـ الحكومة العالمية والعلم
(جلد ٢٥):	الفقه المقارن: ج ٣ ـ الطهارة والصلاة
(جلد ٢٦):	الفقه المقارن: ج ٤ ـ الصوم والحج
(جلد ٢٧):	الفقه المقارن: ج ٥ ـ النــكاح والطـلاق
(جلد ٢٨):	الفقه المقارن: ج ٦ ـ الإقتصاديات الإسلامية

(جلد ٢٩): الفقه المقارن؛ ج ٧ ـ الصيد والذباحة، الوصية، الميراث، الشهادات، القصاص، الحدود والديات

(جلد ٣٠): الفقه المقارن؛ ج ٨ ـ الدعوة الى الله تعالى

* «البلاغ» في تفسير القرآن بالقرآن
* دليل الفرقان في تفسير القرآن
* عقائدنا (بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة والانجيل)
* المناظرات بين الإلهيين والماديين
* حوار بين اهل الجنّة والنّار
* الفقهاء بين الكتاب والسنّة
* «حوار» بين الإلهيين والماديين
* المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية
* غوص في البحار بين الكتاب والسنّة
* رسول الإسلام في الكتب السّماوية
* تاريخ الفكر والحضارة
* عليٌ والحاكمون
* فتياتنا
* أين «الكراسة»
* مقارنات فقهيّة
* على شاطىء الجمعة
* تبصرة الفقهاء بين الكتاب والسنّة
* تبصرة الوسيلة بين الكتاب والسنّة
* لماذا نصلّي ومتى نقصر من الصّلاة؟
* لماذا إنتصرت اسرائيل ومتى تنهزم؟
* شذرات الوسائل والوافي
* حق الفرقان ردّاً على الفرقان الحق
* المسافرون

* * *

من مؤلفات سماحة الشيخ آيةاللّه العظمى الصادقي الطهرانی(رحمه الله) باللغة الفارسية

- ترجمان وحی (ترجمه وتفسیر فارسی مختصر قرآن)
- ترجمان فرقان (تفسیر فارسی مختصر قرآن‌کریم ـ پنج جلدی)
- رســالۀ توضیح‌المسائل نویـن
- بشــارات عهدین
  (در آنچه پیمبران الهی راجع به پیمبر اسلام پیشگویی‌کرده‌اند).
- نقدی بر دین پژوهی فلسفه معاصر؛
  (نقدی قرآنی بر دانش هرمنوتیک و پلورالیسم دینی و قبض و بسط تئوریک شریعت).
- ستــارگان از دیدگاه قرآن
- اسرار، مناسك و ادلّۀ حــجّ
- فقه گویا
  (فقه سنتی، فقه پویا و فقه بشری ـ نگرشی مختصر در سراسر فقه اسلامی)
- آفریدگار و آفریده؛
  (گفتگوی خداپرستان با مادی‌گرایان پیرامون آفریدگار و آفریده)
- نگاهی به تاریخ انقلاب اسلامی ۱۹۲۰عراق و نقش علماء مجاهدین اسلام
- ماتریالیسم و متافیزیك (ترجمه حوار بين الهيين والماديين)
  گفتمان خداپرستان با مادی‌گرایان دربارۀ اصل توحید
- برخورد دو جهان‌بینی (خلاصه ترجمه حوار بين الهيين والماديين)
- نگرشی جدید بر نماز و روزه مسافران
  (بحث بی‌نظیر فقهی پیرامون حرمت کاستن از نماز و ترک روزه در سفر).
- آیات رحمانی (در پاسخ به کتاب آیات شیطانی)
- حکومت قرآن و جلوۀ آن در میان کتب آسمانی
- حکومت صالحان یا ولایت فقیهان
- حکومت مهدی(عليه السلام)
- دعاهای قرآنی
- گفت‌وگویی در مسجدالنّبی(صلى الله عليه وآله)
- مسیــح(عليه السلام) از نظر قرآن و انجیل

* قرآن، تورات، انجیل و خاتم پیمبران صلی الله علیه و آله
* سپاه نگهبانان اسلام: امر به معروف و نهی از منکر
* مفت‌خواران از دیدگاه کتاب و سنّت صلی الله علیه و آله
* علم قضاوت در اسلام از دیدگاه کتاب و سنّت صلی الله علیه و آله
* نگرشی جدید بر حقوق بانوان در اسلام از دیدگاه کتاب و سنّت صلی الله علیه و آله
* نماز جمعه
* نماز مسافر با وسایل امروزی
* پرسش و پاسخ‌های احکام قضایی بر مبنای قرآنی
* أین؟ شرح و تفسیر فرازهای مهمی از دعای ندبه
* پیروزی اسرائیل چرا و شکست آن کی؟
* تفسیر سورهٔ حمد (ترجمه فارسی تفسیر الفرقان)
* علم اصول در ترازوی نقد
* قرآن و نظام آموزشی حوزه
* مفسدین فی‌الأرض
* پاسخ به اتهامات مکتوب

* * *

الكتب الجديدة النشر

❊ ترجمان فرقان (تفسیر مختصر سورهٔ نجم)، (تفسیر مختصر سورهٔ یونس)، (تفسیر مختصر سورهٔ نوح)، (تفسیر مختصر سورهٔ حجرات)، (تفسیر مختصر سورهٔ واقعه)، (تفسیر مختصر سورهٔ ابراهیم)، (تفسیر مختصر سورهٔ مریم)، (تفسیر مختصر سورهٔ یاسین)، (تفسیر مختصر سورهٔ لقمان)، (تفسیر مختصر سورهٔ یوسف).

❊ وصیت و ارث از دیدگاه کتاب و سنّتﷺ

❊ طهارت و نجاست (۱)، از دیدگاه کتاب و سنّتﷺ

❊ طهارت (۲)، وضو، غسل و تیمم از دیدگاه کتاب و سنّتﷺ

❊ مجموعه مقالات وسخنرانی‌های اولین همایش بیداری قرآنی در تاریخ معاصر، ۱۳۹۱

❊ مجموعه مقالات وسخنرانی‌های دومین همایش بیداری قرآنی در تاریخ معاصر، ۱۳۹۲

❊ مجموعهٔ سی‌دی و دی‌وی‌دی‌های آثار در قالب نرم‌افزار و پی‌دی‌اف، صوتی و تصویری.

❊ علی و زمامداران (ترجمهٔ کتاب عليٌّ والحاكمون)

❊ تاریخ اندیشه و تمدن (ترجمهٔ کتاب تاریخ الفكر والحضارة).

(بررسی نقش سازندهٔ ادیان توحیدی به ویژه دین خاتم در ایجاد یا اصلاح اندیشه و تمدن)

❊❊❊

***

جامعة علوم القرآن

پایگاه تخصصی علوم و معارف قرآن کریم

تلفن: ۳۲۹۳۴۴۲۵ـ ۰۲۵

انتشارات شکرانه

مرکز چاپ و نشر آثار آیت‌الله العظمی دکتر محمد صادقی تهرانی

تلفن: ۳۲۹۲۵۴۹۹ـ ۰۲۵/ نمابر: ۳۲۹۲۴۸۶۷ـ ۰۲۵

نمایشگاه دایمی و مرکز پخش آثار و تألیفات

حضرت آیت‌الله‌العظمی دکتر محمد صادقی‌تهرانی

قم، بلوار امین، کوی ۲۱، پلاک ۷

---

www.forghan.ir

email: Sadeghi@Forghan.ir

حوار

بين أهل الجنّة والنّار

بين الله و أهل النار
بينهم و بين الزبانية
بينهم و بين ملائكة الموت
بينهم بعضهم مع بعض
بينهم ومن أضلوهم
بينهم وبين أهل الجنة

الدكتور الشيخ محمّد الصادقي